المحاضرة 02: نشأة ومفهوم الرأي العام

أولا: نشأة الرأي العام

إن الرأي العام كظاهرة وليس كمصطلح قديما قدم البشرية ويظهر ذلك من خلال الآثار السومرية والبابلية والفرعونية والأشورية التي تعتبر كدليل على وجود الرأي العام في تلك الفترات، من خلال الاهتمام بعقد مجالس الشعب والمؤتمرات.

ويرجع تاريخ ظهور الرأي العام كظاهرة موجودة في المجتمعات القديمة إلى المدينة الإغريقية القديمة في أثينا واسبرطة وغيرها، فقد كانت تعبر عن الرأي العام من خلال المناقشات التي كانت تهتم بالقضايا العامة وتعير الاهتمام إلى حق المواطنة فقد كانت كلمة الأغلبية هي العليا، وإن لم يعبر عن كلمة الرأي العام بمقصودها الحالي إلا أن أرسطو وأفلاطون كانوا كثيرا ما يتحدثون عن الرأي العام الجماهيري. كما أن المجتمعات اليونانية لم تكن تخلو من أماكن مخصصة للقاء الشعب وعرض القضايا العامة، حيث كانوا يشاركون بآرائهم ويتناقشون حولها لترجح الكفة للرأي السائد.

وبالمدن اليونانية تجسد مفهوم الرأي العام من خلال تلك الاجتماعات التي كانت تعقد لمناقشة كل المجالات وتتخذ القرارات في اجتماع جمعية المواطنين بأغلبية أصوات المواطنين وكانت لها السلطة الكاملة والمطلقة فكما قال أرسطو **"كانت تفعل ما تشاء ولا يحكمها إلا صوت الأغلبية".**

كما كان للفلاسفة والمفكرين اليونانيين التفكير في مفهوم الرأي العام حيث أدركوا معناه ومدلوله وآرائهم لازالت لحد يومنا هذا مجالا لاهتمام الباحثين. فأرسطو مثلا قسم المستمعين والذين كانوا يمثلون الرأي العام في تلك الفترة، حسب السن إلى شباب ورجال وكبار السن، ثم يقسمهم حسب ما يسميه ظروف الحظ وهي عنده الأصل، الثروة والقوة ولكل مجموعة مميزاتها. ولم يكن اليونانيون هم فقط من أولو الاهتمام للرأي العام كمجال للاهتمام بشؤون المجتمع، فقد عرفته أيضا الحضارات على مر العصور فالرومان أيضا تحدثوا عن الآراء الشائعة ووصلوا إلى مفهوم صوت الجمهور، أو صوت الشعب.

ورغم أنه في هذه العصور لم يكن مصطلح الرأي العام واضحا وظاهرا كما في يومنا هذا إلا أن الممارسات التي سادت في مختلف هذه العصور كانت توحي بأهمية الرأي العام، واحترام رأي الأغلبية ورأي الشعب كان له في مختلف هذه العصور دور في الحكم.

أما في العصور الوسطى، لم تكن له تلك الأهمية بالنظر إلى السيطرة المطلقة للحكام والمعتقدات الدينية، وأشار إلى أن هناك مفهوم يشبه الرأي العام ظهر عند المسيحيين، يعبر عنه بعبارة الاتفاق العام والتي كان يستخدمها أنصار البابا ضد خصومهم للتعبير عن التقاليد السائدة والاتجاهات العامة للرأي العام في المناطق المتنازع عليها. أي أن هذا المصطلح كان موجه فقط لخدمة مصالح الكنيسة للتمكن من أعدائها.

ولقد كان الخلفاء المسلمون يولون عناية كبيرة لمعرفة أحوال الرعية واتجاهات الرأي العام فيها ولا شك أن العالم الإسلامي، قد عرف الشورى التي تنطوي على الاعتراف بالرأي العام وشاورهم في الأمر وأمرهم شورى بينهم ولقد كان عمر بن الخطاب يتولى بنفسه دراسة الرأي العام عن طريق الاتصال بعامة الشعب والاستماع إلى آمالهم وآلامهم، كما أن عبارة معاوية المشهورة والتي كان يقول فيها أن بينه وبين الناس شعرة لا تنقطع إذا أرخوها أشدها وإذا شدوها أرخيها تدل على الاهتمام برأي الجمهور.

ولقد ظهر تعبير الرأي العام بالمفهوم الحديث مع الثورة الفرنسية في القرن 18 على لسان وزير المالية لويس السادس عشر جاك نيكير، وذهب آخرون أن تعبير الرأي العام ظهر في انجلترا في مطلع القرن 12.

وعلى العموم فقد عمت أوروبا من مطلع القرن السادس عشر إلى القرن 18 حركة فكرية شملت كل الميادين وتطرق الفلاسفة والمفكرين إلى قضايا تدور حول الرأي العام السلطة والمعرفة وشرعية السلطة وأصول الحكم والعدالة وحقوق الإنسان ومن أبرز هؤلاء المفكرين والفلاسفة، جون جاك روسو، وجون ستيوارت ميل؛ حيث أكدوا على ضرورة احترام الحكومة للإرادة العامة التي تنطوي بشكل من الأشكال على ظاهرة الرأي العام، كما أكد ستيوارت ميل على أهمية حرية الرأي وأنه إذا كان رأي واحد فقط مخالف لآراء العالم كله فلا يحق للعالم إسكاته.

وفي القرن 19 ومع حدوث الثورة الصناعية انتقل الاهتمام بالفكر السياسي من فرنسا إلى إنجلترا ؛ حيث سادت الفلسفة النفعية لجيرمي بينتام والقائمة على أكبر سعادة لأكبر عدد من الشعب وهذه السعادة، يحصل عليها الفرد بمفرده دون حاجة لتوجيه النخبة له لما يليق وما لا يليق أي أنه أضاف للجانب العقلاني للرأي اية القرن التاسع عشر وضع الرأي العام بشكل كبير العام الجانب الفردي وهو الوصول إلى السعادة. 3 وفي تحت التحليل في الدراسات التجريبية والتي ميزت العلوم الاجتماعية النامية، فقد كان الكتاب متأثرين بالقوة الجديدة للرأي العام.

وفي القرن العشرين ومع تطور وسائل الاتصال الجماهيري زاد الاهتمام بالرأي العام وظهرت قوة تأثيره على الحكومات وخاصة بعد الحربين العالميتين وأصبح بذلك علما بذاته، يدرس في المعاهد والجامعات الأمريكية والأوروبية، كما تم إنشاء معهد لقياس الرأي العام سنة 1937 بالولايات المتحدة الأمريكية وهو معهد غالوب والذي كان أول معهد لسبر الآراء ولحقته في ذلك عدة معاهد في أوروبا.

ثانيا: مفهوم الرأي العام

1. **لغة:** ينقسم إلى كلمتين رأي وعام، ويعرف **الرأي** لغة بأنه لفظ يدل على الاعتقاد بشأن موضوع ما والعقل والتدبر والنظر والتأمل

أما كلمة **عام** فتقال للعام من كل أمر وهو عكس خاص أي عدد كبير من الناس، ويقال شيء عميم أي تام وعمهم الأمر أي شملهم والعامة خلاف الخاصة، وقيل الخلق الكثير، والعام تعني الجماعات المتفرقون.

2. **اصطلاحا**: انقسمت الآراء حول الرأي العام إلى أقسام فريق يرى بأنه لا وجود للرأي العام أساسا ولا يعترف به، واتجاه ثان يقر بوجود الرأي العام إلا أنه يعترف بصعوبة الوقوف على تعريف واحد له، و اتجاه ثالث يعترف بالرأي العام وأهميته، إلا أنه لم يجد له تعريفا متفقا عليه.

- يعرف **فلويد هـ . ألبورت"floyd,H. Allport** الرأي العام على أنه "تعبير صادر عن مجموعة كبيرة من الناس بصدد ما يرونه في موضوع ما، يكون ذلك التعبير في صورة تأييد أو معارضة لوضع ما أو لشخص معين، بحيث تكون المجموعة كافية للتأثير بصورة مباشرة أو غير مباشرة تجاه الموضوع المقصود."

ولقد ركز في مفهومه للرأي العام على الطريقة التي يظهر بها الرأي العام الظاهر وأغفل الرأي العام الكامن، مع عدم تحديده لمواصفات القضية فبالنسبة له كل موضوع يمكن أن يتشكل نحوه رأي عام، كما لم يعط الاهتمام إلى دور الاتصال والجماعات المرجعية وقادة الرأي في تشكيل الرأي العام.

- ويعرف "**جيمس يانجJames young** الرأي العام بأنه الحكم الاجتماعي الذي يعبر عن مجتمع واع بذاته وذلك بالنسبة لمسألة عامة لها أهميتها علي أن يتم الوصول إلى هذا الحكم الاجتماعي عن طريق مناقشة عامة، أساسها المنطق والعقل أن يكون لهذا الحكم من القوة والعمق ما يحقق تأثيره في السياسة العامة.

ولقد ركز في تعريفه على ضرورة الوعي لكي يتشكل الرأي العام، لكن لم يشرح كيف ذلك أي أن التعريف غير دقيق وغامض.

- يعرفه **إبراهيم إمام** أنه "الفكرة السائدة بين جمهور من الناس تربطهم مصلحة مشتركة إزاء موقف من المواقف أو تصرف من التصرفات أو مسألة من المسائل العامة التي تثير اهتمامهم أو تتعلق بمصالحهم المشتركة".
- أما **مختار التهامي** فيعرفه على أنه:" الرأي السائد بين أغلبية الشعب الواعية في فترة معينة بالنسب لقضية أو أكثر يحتدم فيها النقاش والجدل، تمس مصالح هذه الأغلبي".
- أما **عزي عبد الرحمن** في نظرية الحتمية القيمية فاستبدل مفهوم الرأي العام بالمخيال الإعلامي، والذي يقصد به المشاعر الاجتماعية والنفسية التي تتكون بفعل ما يتعرض له الجمهور العربي والإسلامي عامة من محتويات وسائل الاتصال من جهة، وما يحمله هذا الجمهور من منظومة تراثية وحضارية وأسطورية من جهة أخرى.